

اسم المادة: سورة التكاثر

من سلسلة: تفسير جزء عمّ

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم



اسم المادة: سورة التكاثر
من سلسلة: تفسير جزء عمّ
لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة، وتركنا على المحجة البيضاء، ما ترك خيرًا إلا ودلنا عليه، وما ترك شرًا إلا وحذرنا منه، فصلاة وسلامًا دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ"

آل عمران: ١٠٢

أما بعد أحبتي في الله؛

من رحمة الله -عز وجل- بعباده أنه لم يتركهم سدى، ولكن أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب، وإن الله -عز وجل- اصطفى هذه الأمة أنزل إليها القرآن وأرسل إليها محمدًا -صلى الله عليه وسلم-. جاهد النبي -صلى الله عليه وسلم- في الله حق جهاده، وبين لنا الأمور وما ترك خيرًا إلا ووضحه لنا، وحفظ الله -عز وجل- القرآن من التبديل والتغيير ليكون تذكرةً لنا، فالإنسان ينسى تتغير به الظروف وتتبدل به الأحوال، ويمر بكثير من الأوقات ينسى فيها حقائق عظيمة، منها ما خلقه الله -عز وجل- لأجلها قال ربنا: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات:٥٦، أنزل الله -عز وجل- القرآن ليكون نورًا وتذكرةً وبرهانًا وشفاءً لما في الصدور.

ومعنا اليوم سورة من القرآن تذكرنا بحقائق عظيمة ينساها الإنسان في زحمة هذه الحياة، في كثرة الانشغالات ينسى الإنسان حقائق عظيمة، هذه السورة على قصر عدد آياتها إلا أنها احتوت على معاني عظيمة.

هذه السورة تبين أن الله -عز وجل- يغضب من الإنسان غضبًا شديدًا إذا فعل الإنسان ما أخبرت به هذه السورة.

هذه السورة العظيمة هي مجرد ثماني آيات، بالرغم أن هذه السورة ثماني آيات إلا أن لفظ الردع والزجر الذي هو لفظ كَلَّا تكرر في هذه السورة ثلاث مرات، وأقسم الله -عز وجل- في هذه السورة ثلاث مرات، تخيل سورة ثماني آيات فقط يتكرر فيها لفظ الردع والزجر لرفض كَلَّا ثلاث مرات ويقسم الله فيها ثلاث مرات، ست آيات تحتوي على الغضب الذي يغضبه الله -عز وجل- إذا فعل الإنسان هذه الجريمة.

ما هي هذه الجريمة؟

يقول الله -عز وجل-: "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ" آيتين توضح الجريمة، الخطأ الذي يسقط فيه الإنسان، ثم بعد ذلك "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ" ثلاث آيات تبدأ بكَلَّا ثم بعد ذلك يقول الله -عز وجل-: "لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ" أي والله لترون الجحيم، لام القَسَم، يقسم الله -عز وجل-

"لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ"، "ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ" قسم آخر، "ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ" قسم ثالث.

تخيل هذه السورة بالرغم من قِصَر عدد الآيات لكن احتوت على هذا الكم من الغضب من الله –عز وجل–، نعوذ بالله من غضبه –سبحانه وتعالى–.

تبدأ هذه السورة تبين لنا عظم هذه الجريمة التي يقع فيها الإنسان، يقول الله –عز وجل–: "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ" اللهو: أن ينشغل الإنسان بما لا فائدة فيه وما لا يعود عليه بنفعٍ لا في دين ولا في دنيا، جاء الخطاب بصيغة الجمع أَلْهَاكُمُ وكأن غالبنا يقع في هذا اللهو، غالبنا ينشغل بعيدًا عن مراد الله –عز وجل– منه في هذه الحياة، أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ما هو الذي ألهى الإنسان؟ لم يقل الله –عز وجل– في هذا الموضع الدنيا ولكن قال التَّكَاثُرُ، الإنسان بطبيعته ضعيف؛ خُلِقَ من علق، يحاول الإنسان أن يسد هذا النقص يعتقد أن هذا النقص قد يُسَد بكثرة المال بكثرة العدة والعتاد كثرة العقارات، يعتقد الإنسان طول ما معاه فلوس كتير ومعارف كتير وعقارات كتير أصبح آمنًا يسد هذا

الضعف الذي بداخله، ولا يسد هذا الضعف الذي بداخله إلا معرفة الله –عز وجل–، "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ –أي أولئك فقط– لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ" الأنعام: ٨٢، لذلك كثرة الجمع توحي أن الإنسان لا يفكر في الآخرة، ويعتقد أن هذه الأموال التي يتكاثر بها وأي شيء يتكاثر به تمنعه من الموت، لذلك قال الله –عز وجل– في سورة الهمزة: "الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ –معتقد– يَحْسَبُ أن مَالَهُ أَخْلَدَهُ" الهمزة٢: ٣، معتقد أن الفلوس هتخليه يعيش كتير، أنه يخلد في هذه الدنيا، يحسب ذلك الواهم أن ماله أخلده، يجعله يخلد في هذه الدنيا.

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ الفاعل اللي بيخلي الإنسان يُلْهى عن العبادة وعن الطاعة وعن مراد الله –عز وجل– في الدنيا؛ التكاثر. التكاثر بإيه؟ لم يذكر الله –عز وجل– التكاثر بإيه. يعني التكاثر بالولد؟ تكاثر بالمال؟ تكاثر بالمعارف؟ تكاثر بالمعلومات؟ التباهي والتفاخر.

التكاثر لفظ فيه اشتراك هو كل قضيته في هذه السورة أن يقول لصاحبه "أَنَا أكثر مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا" الكهف:٣٤، هو لا يجمع المال لأجل أنه يحتاج إليه، لا، هو يجمع لأجل أن يتباهى، لأجل أن يفتخر، لأجل أن يسد النقص الذي بداخله، حتى ينظر إلى الناس ويقول لهم أنا أكثر منكم، أنا أغنى منكم، أنا أفضل منكم، كما قال صاحب الجنتين لصاحبه المؤمن: "أَنَا أكثر مِنْكَ مَالا وَأَعَزُّ نَفَرًا". أنا معايا أكتر منك.
الإنسان يحب أن يتباهى على الناس إلا من عصمه الله –عز وجل–، يتكاثر يتباهى، إن الإنسان ينشغل لأجل التكاثر يلهيه عن الغاية العظمى من مجيئه في هذه الدنيا، من الغاية العظمى من خلق الله –عز وجل– له في هذه الدنيا، "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" الذاريات:٥٦.

"أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ" عن ماذا ألهاهم؟ لم يقل الله –عز وجل– ألهاكم التكاثر عن الصلاة، ألهاكم التكاثر عن الصوم، ألهاكم التكاثر عن الحج، عن ماذا ألهاهم؟ لم يذكر الله –عز وجل– عن ماذا لهاهم، لأن التكاثر لو

دخل في حياة الإنسان ينسيه كل شيء، ينسى كل شيء؛ ينسى الصوم وينسى الحج وينسى الصلاة، وينسى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينسى الذكر، ينسى أسهل الطاعات، ينسى الصدقة، ينسى كل شيء، الإنسان إذا ألهي بالتكاثر إنه عايز يجمع ويجمع ويجمع.

لذلك السورة التي تليها سورة التكاثر؛ سورة العصر "وَالْعَصْرِ" العصر آخر اليوم، وكأن الإنسان ظل ملهيًا بالتكاثر حتى انتهى عمره، حتى انتهى يومه، فيقول الله -عز وجل-: "وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" خسر لأنه كان ملهي بالتكاثر، بالرغم أن السورة التي قبلها السورة اللي قبل سورة التكاثر سورة القارعة، القرع؛ قرع الطبول يكون في الحرب، القارعة أمر جلل أمر عظيم توجل منه القلوب وتذهل منه العقول، "وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ" الحج:٢، ما الذي ألهاه عن القارعة؟ التكاثر.

مشهد عجيب؛ مشهد عجيب إن إنسان يظل ملهي إلى متى؟ حتى لم يقل الله -عز وجل- ألهاكم التكاثر حتى بلغتم الأربعين، ألهاكم التكاثر

حتى بلغتم الخمسين حتى بلغتم الستين، أبدًا، أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ إلى متى ظل ملهيا؟ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ أن مات لم يفق.

قال عبد الله ابن الشخير –رضي الله عنه–: "أَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وَهو يَقْرَأُ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، قالَ: يقولُ ابنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، –فلوسي بتاعتي عايز يجمع– قالَ: وَهلْ لَكَ، يا ابْنَ آدَمَ مِن مَالِكَ إلَّا ما أَكَلْتَ فأفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فأمْضَيْتَ؟"[١] أمضيت؛ الصدقة تعبر إلى الآخرة. الإنسان يفني أمواله في الدنيا لا يبقى من المال إلا ما ابتغي به وجه الله. فأمضيت تعبر الصدقة هذه القنطرة إلى الآخرة يقول ابن آدم مالي مالي.

بل كان كثيرٌ من الصحابة منهم أبي –رضي الله عنه– وغيره يقولون: كنا نعد هذا القول من القرآن، ما هو هذا القول؟ "لَوْ أنَّ لِابنِ آدمَ وادِيًا من مالٍ لابْتَغَى إليهِ ثانيًا"[٢]، متخيل لما تقابل إنسان في مبتدأ عمره تعمل معاه لقاء، تقول له تتمنى ماذا؟ يقول لك أنا عايز نفسي بس شوية دهب صغيرين أبدًا بهم حياتي، تقول له خد، أخد الدهب واشتغل

[١] صحيح مسلم
[٢] سنن الترمذي

وكبرت التجارة وبقى معاه وادي دهب تخيل بين جبلين مسافة بين جبلين مليئة بالذهب لو أنفق هو وأبناؤه وأحفاده وأحفاد أحفاد أحفاده ما انتهى، ثم تقابله بعد هذا الوادي وتسأله ماذا تتمنى؟ يقول لك وادي تاني بس، بس مش عايز حاجة من الدنيا غير كمان -مش كمان حفنة دهب- كمان وادي فقط.

خد وادي تاني، ولو أن لابن آدم واديان من ذهب، في رواية من خيل، وفي رواية من ذهب وفضة، "زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ" آل عمران:١٤، كل دي مزينات مع وادي تاني دهب معاه، أغنى رجل في العالم تسأله نفسك في إيه كمان؟ ماذا تتمنى؟ يقول لك أمنيتي الوحيدة بس كمان وادي تالت بس ومش عايز حاجة، ويظل هكذا. ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى يقطع هذه الدائرة التي لن تنتهي منه أبدًا "ولا يملأ جوف وفي رواية عين وفي رواية فاه ابن آدم إلا التراب"[٣]. يعني هيفضل كده مش هيشبع إلا ما يُحْفَى عليه التراب حينها هيفيق. ويقول نعم أفقت الآن، عرفت إن في غاية لهذه الحياة غير جمع المال.

[٣] روايات الحديث هنـا

"اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ –احنا بنضيع بعض، بنبص لبعض– وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ –عايز يبقى أكتر منه– فِي الأموال وَالْأَوْلَادِ" الحديد: ٢٠، لذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم– إمتى تبص لغيرك؟ في إيه؟ لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ –أي الغبطة يعني أما تيجي تبص لواحد وتتمنى ما عنده دون أن يزول ما عنده من نعمة في حاجتين فقط– لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ[٤] رجل آتاه الله مالًا فهو ينفق منه أناء الليل وأطراف النهار أو سلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقرأه آناء الليل وأطراف النهار.

ليس الحسد في أن الله آتاه المال، أبدًا، لكن الغبطة في أنه ينفق المال، ليس الحسد أو الغبطة في أن الله أعطاه القرآن، أبدًا، في أنه يقرأ ويعمل بهذا القرآن. الغبطة في الإنفاق، يعني لو واحد ربنا اداه فلوس كتير وينفق صدقات قليل هذا لا يُتَمَنى، هذا لا يُتَمَنى أن يكون مثله أبدًا، لا تتمنى أن تكون مثل هذا الرجل، لو رجل مليونير وبيطلع نفقات قليلة هذا الرجل لا يتمنى ولا نتمنى أن نكون مثله، لأن النبي –صلى

[٤] روايات الحديث هنـا



الله عليه وسلم– قال: لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ المنظومة على بعضها؛ رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه وفي رواية سلط على هلكته في الحق، آه تقول أنا نفسي ابقى زي ده، عايز فلوس عشان أنفقها.

"أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ" العجيب أن الإنسان هنا هو المفعول به أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ التكاثر ألهاه، شغله إلى أن مات، يعني كأن الإنسان ما يقولش أنا ما لي لا، التكاثر حاول تبتعد عنه، ألا تفاخر الناس ألا تكاثر الناس، أيضًا إشارة في هذه الآيات إن العمر قصير، العمر لا يسع أن تفعل فيه كل شيء، يموت ابن آدم ولا يقضي من أمانيه إلا القليل.

وفي رواية أن النبي –صلى الله عليه وسلم– خط خطًا؛ خط كده مستقيم ثم قطعه بخط آخر، خط طويل جدًا وفي نص الخط كده النبي –عليه الصلاة والسلام– عمل خط يقطعه، فقال هذا أمل ابن آدم ده الأمل، طويل، يقطعه أجله. الأجل ييجي عند الآمال يقطعها الأجل. الإنسان يؤمل ويؤمل ويؤمل ثم يأتي الأجل يقطع كل هذه الآمال، الذي لا يفكر في الأجل لا يفكر إلا في الأمل إنسان مغبون إنسان خاسر.

فالله -عز وجل- يخبرنا أن العمر قصير لا يسع كل شيء، لابد أن تكون عاقلًا فيما تستثمر العمر؟ أين تضع أوقاتك؟ أين تضع الزمان؟ ماذا تفعل بشبابك، بعمرك، بهرمك؟ سوف تُسأل عن هذه الأزمنة عن هذه الأوقات، لا تكون مغبون. قال النبي -صلى الله عليه وسلم- نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ -الغبن ليس مجرد الخسارة، الغبن الخسارة الفاحشة، يعني عشان أفهمك يعني إيه الغبن، تخيل لو واحد معاه سيارة صغيرة عربية مثلًا ١٢٧ صغيرة، واحد مليونير معاه عربية من أثمن السيارات، فالراجل الغني راح للفقير وقال له تبدل السيارة دي بالسيارة دي؟ لما يبدل هذه السيارة العظيمة بسيارة بسيطة نقول له لقد غُبِنْت، إيه اللي يخليك تبدل السيارة دي بالسيارة دي؟ الفارق عظيم نقول له لقد غُبِنت، اللي معه شئ ثمين جدًا معاه ذهب ويبيعه بسعر بسيط جدًا نقول هذا مغبون لأنه لم يعرف قيمة ما معه.

الذي يضيع العمر لا يعرف قيمة هذا العمر، هذا العمر قد يرفعك إلى الفردوس الأعلى، هذا العمر قد يجعلك بصحبة نبيك -صلى الله عليه

وسلم- في الجنة، هذه الأوقات التي تمر، سبحان الله وبحمده بنخلة ساقها ذهب في الجنة، هذه الأعمار التي تضيع منا والإنسان يلهو فيها، قد ترفعه إلى أعلى عليين لرؤية وجه الملك -سبحانه وتعالى-. على ماذا الإنسان يلهو عن هذه الأشياء؟

"أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ" انظر للتعبير القرآني لم يقل حتى متم، قال: حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ لفظ المقابر لفظ تبغضه النفوس، يخاف منه الإنسان، لفظ موحش لفظ مرعب، تخيل مشهد واحد عمَّال يجمع فلوس وملايين وعقارات ثم يتجه بكل هذه الأشياء إلى حفرة صغيرة، أين يضع هذه الأشياء؟ تخيل مشهد إنسان ظل يجمع ويجمع ويجمع ثم أتى على ظهره محمل بكمٍ من الأموال لا تحصى، ثم بعد ذلك هو مطالب أن ينزل هذه الحفرة، فيترك كل هذه الأشياء وينزل وحيدًا في هذه الحفرة.

هذا المشهد الذي يصوره القرآن؛ ظللت تجمع ونزلت وحيدًا في حفرة ضيقة تكاد أن تكون على مقاسك، حفرة ضيقة يُحفى عليك التراب،

تترك كل شيء، ظللت تجمع وتجمع وتجمع وتتكاثر وتباهي وتفاخر ثم ماذا؟ ثم الموت.

لما نزل ملك الموت لموسى -عليه السلام- ولم يكن يعرفه موسى، وفقأ عينيه، عاد إلى ربه ملك الموت وقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فنزل ملك الموت إلى موسى -عليه السلام- وقال له الله -عز وجل- قل له يا موسى ضع يدك على متن ظهر ثورٍ فلك بكل شعرة تمسها يدك عام تعيشه، سنة تعيشها، فنزل ملك الموت وقال لموسى ضع يدك على ظهر ثور ولك بكل شعرة تمسها يدك سنة تعيشها، فقال: أي ربي ثم ماذا؟ آخرتها إيه؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن. قال أي ربي ثم ماذا؟ آخرتها إيه؟ أخرتها هذه الحفرة الصغيرة.

حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ إنسان يظل ملهي ثلاثين سنة! أربعين سنة! يعني الإنسان ممكن يتخيل إنسان يُلهى ساعة؛ اتلبخ نسي، يوم يومين أسبوع مشغول، إنما طول عمر مشغول إزاي؟ إزاي سيطر الشيطان على عقله؟ إزاي يظل ملهي؟ تخيل إنسان وهو شاب يقول لك لما أتعلم، لما أتخرج،

تكلمه لما يتخرج عشان يحافظ على الفروض ويتعلم شيئا ينفعه في دينه يقول لك بس لما اشتغل، طب اشتغل لما اتجوز، أما يتجوز لما أخلف، أما أخلف لما أكبر، ويظل هكذا يمني نفسه ويمني نفسه هذه الأماني يقطعها الموت. على ماذا؟ لابد أن يفيق الإنسان.

تأتي هذه السورة بهزة عنيفة وكأنهم سكارى لابد أن يفيقوا في الدنيا كَلَّا، كلَّا يعني أفيقوا لا تستمروا هكذا، صيحة عالية مدوية، كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ لو استمريتم على حالكم هذا سوف تعلمون حقيقة ما أنتم عليه، وأنه لن ينفعكم ما كنتم فيه من اللهو والتكاثر والتباهي. "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ" قيل سوف تعلمون في القبر، أول لما تنزل القبر هتعرف، يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ[٥] –تخيل– المال والأهل والعمل، أنا عايزك تتخيل مشهد واحد ماشي كده رايح ناحية القبر ووراه تلاتة جنود؛ الأهل والمال والعمل، أول لما وصل لقبره ونزل القبر التف اثنان ورجعا، فيرجع اثنان الأهل والمال ويبقى العمل، تخيل حسرة اللي عمله ضعيف وماله كثير، وهو ينظر إلى المال وهو يذهب عنه ويقول إلى أين تذهب؟ ظللت أغذيك وأنميك وأكثرك تتركني الآن؟!

[٥] صحيح مسلم

وينظر إلى العمل شغلت عنك، انت الذي تنزل معي الآن؟ انت الضعيف الهزيل تنزل معي؟ ماذا تفعل ماذا تغني عني؟ فيرجع اثنان ويبقى العمل.

"حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ" حقيقة ذلك في القبر، ثم تعلمون حقيقة ذلك يوم القيامة، وقيل هذا التكرار يفيد الكثرة؛ يعني إيه الكثرة؟ يعني كل مرة انشغلت فيها عن الطاعة بالتكاثر سوف تعاقب عليها، يعني كل مرة انت كنت قاعد والأذان بيؤذن وماقمتش تصلي وماصلتش، تُذَكّر بكل لحظة شغلت فيها عن الطاعة، سوف تعلم عاقبة ذلك، انت في الدنيا مابتعرفش العاقبة، يعني عادي ممكن واحد قاعد بيشتغل في الدنيا والأذان أذن والصلاة انتهت والوقت خرج ومكمل في الدنيا، ممكن يكسب، يعني مش دايما اللي بيترك الصلاة يخسر، أبدًا ممكن يكون استدراج، فلا يعلم عاقبة ما فعل، حس إن الأمر عادي، عادي انت ممكن تقابل شاب تسأله، تقابله العشاء تقول له صليت العشاء؟ يقول لك أنا ما صليتش حاجة من الصبح،

أنا ما صلتش بقالي أسبوع، أنا ما صلتش بقالي سنة، وبيمارس حياته عادي ولا يعلم عاقبة ما يفعل، هو بيمارس حياته بطريقة طبيعية لا يعلم أن الله –عز وجل– غاضب عليه، لا يعلم هذه العاقبة. سوف يعلم والله سوف يعلم. كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ آهٍ لو تعلمون.

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لو تعرف انت بتضيع إيه منك وانت مشغول عن الطاعة؟ لو تعلم ما ينتظرك من عقاب وانت تلهو عن الطاعة؟ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ جواب لو محذوف لم يذكره الله، يعني كلمة لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ هي جملة جديدة أصلًا. هذا معنى قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "لَو تعلمونَ ما أعلمُ لضَحِكْتُم قليلًا ولبَكَيتُمْ كثيرًا وما تلذَّذتُمْ بالنِّساءِ علَى الفُرُشِ ولخرجتُمْ إلى الصُّعُداتِ تجأورن إلى اللَّهِ"[٦].

لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لو تعرف عاقبة اللهو، لو تعرف عاقبة انك لا تنشغل بالطاعات، والله ما كان هذا يكون حالكم، آهٍ لو تعلمون علم اليقين وكأن فيها إشارة على أن يفيق الإنسان في الدنيا قبل أن يموت.

[٦] سنن الترمذي

لو أنهم كانوا يهتدون لو أنهم كانوا يفيقون في الدنيا لكن للأسف لم يفق، وأصر على اللهو أصر على الانشغال أصر على التكاثر إلى أن مات، فقال الله –عز وجل– طالما أنكم أصررتم على اللهو: "لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ" أي والله لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ، يقسم الله –عز وجل– أن عاقبة المتكاثر الملهي بالدنيا عن الآخرة يقسم الله والله لا يحتاج إلى قسم، كما قال الأعرابي حينما سمع قول الله –عز وجل– فورب السماء والأرض إنه لحق، قال من الذي أغضب الملك حتى أقسم؟ من الذي أغضب الملك حتى قال والله لترون الجحيم؟ إنه انشغال الناس؛ أن يخلقهم الله وأن يرزقهم وأن ينعم عليهم ثم حتى لا يذكرونه، ولا يصلون له، لا يذكرون اسمه، لا يلهجون بذكره. تخيل أب يصرف على ابنه وينفق عليه ويغذيه ويعطيه كل شيء حتى كبر الابن لا يذكر حتى والده، لا يريد أن يذكر اسمه، لا يريد أن يزوره، ماذا نقول على هذا؟ إنه جاحد، يغضب الوالد منه.

تخيل نعم الله –عز وجل– على الإنسان أعظم بكثير، فالله –عز وجل– أرحم من الناس؛ من الوالدة بولدها نعم ورحمة وفضل وعطاء وكرم وحلم ولطف، ثم بعد ذلك ينساه الإنسان، أنا مش فاضي أصلي، مش فاضي

أطيع ربنا، مش فاضي أتعلم، مش فاضي يلهو ويلهو ويلهو إلى أن يرى الحقيقة رأي العين، إلى أن يرى الجحيم بعينيه، أول لما يشوف الجحيم يتذكر كل لحظة انشغل فيها عن الطاعة، بل قبل ذلك لما يدخل القبر ويُفتح له في قبره باب إلى الجنة فيستغرب ده عاصي ده كان بيلهو فلما يشوف الجنة يفرح، فيقال له: لا، هذا منزلك من الجنة لو كنت أطعت الله، لو كنت سمعت الكلام انت ما سمعتش الكلام فيغلق باب الجنة ويفتح باب النار، زيادة في الحسرة حينما يرى الجحيم بعينيه يعلم أن الكلام ما كنش مجرد خطب، إنه ما كنش مجرد كلام، إن الناس اللي كانت بتكلمه عن الآخرة ما كنش مجرد كلام، حينما يرى ذلك بعينيه يقول فعلا صدقوا وصدق المرسلون فعلا كان عندهم حق. فعلا كان الكلام بجد ما كانش هزار، أنا اللي كنت غافل، أنا اللي كنت لاهي. والله لترون الجحيم، وبعد لما يشوفها يدخل فيها –والعياذ بالله–.

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ أي لتقاسنها تدخلونها، يعني الأول يشوفها كنوع من أنواع العذاب؛ يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون

ألف ملك، أول لما تيجي فما يبقى أحد إلا يجثوا على ركبتيه حتى الأنبياء، يقولون: يا ربي سلم سلم، حينها يعرف العاصي أن هذا مصيره، يعرف ذلك حينما يرى الجحيم ويخرج اللسان من النار يلتقطه، ثم لننزعن؛ يُنْزَع من بين الناس أيهم كان أشد على الرحمن عتيا، أكتر واحد إجرام يتاخد من بين المجرمين أولًا في أول، ويسقط في جهنم –والعياذ بالله–.

ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثم بعد كل ذلك ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمدٍ –صلى الله عليه وسلم–.

أحبتي في الله؛ هذه السور تبين لنا حقائق منسية في حياتنا لا نفكر فيها، وننشغل عنها، هذه الحقائق لو أبصرناها في الدنيا يُفلح الإنسان، لكن لو تغافل عنها وأعرض عنها، فهي المصيبة العظمى، هي الطامة الكبرى التي لا مصيبة بعدها، لذلك تأتي هذه السور في ظاهرها شدة، وفي

باطنها رحمة بالإنسان حتى يفيق، تأتي هذه السور تهز الإنسان هزًا عنيفًا حتى يفيق في الدنيا فيفلح، ولكن كثير من الناس يعرض لا يريد أن يسمع، كما قال الله -عز وجل-: "وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا" الكهف:١٠١، هو مشغول، مشغول تخيل منظر شاب لسه صغير كان جاي يصلي، تخيل مشهد تمثيلي تخيلي، سمع الأذان نزل يصلي وهو في الطريق إلى الصلاة وجد قطعة ذهب على الأرض، فرح وطى ياخد الدهب لسه بيقوم عشان يروح يصلي شاف قطعة أخرى فراح يسحب القطعة الأخرى كل ما يجي يقوم عشان يصلي يشوف قطعة أخرى من الذهب على الأرض، ظل يجمع ويجمع ويجمع راح العصر وراح المغرب وراح العشاء وهو يجمع، ذهب اليوم وذهب الأسبوع وذهب العام وهو يجمع، كل ما يرفع يجد قطعة أخرى وهو يجمع، مرت السنون والأعوام والأيام وهو يجمع ويجمع، فوجئ هو كان ١٨ سنة نازل يصلي فوجئ أن عنده ٦٠ سنة، ومفيش في حياته لا ضهر ولا عصر ولا مغرب، بينام الساعة اتنين ويصحى الساعة تمانية، وينام الساعة اتنين الضهر تاني ويصحى العشاء، مفيش فروض مفيش في حياته ذكر مفيش علم

مفيش طاعة مفيش أمر بالمعروف مفيش نهي عن منكر، خلاص حياته اتقفلت أن مفيش طاعة، بتكلمه عن الطاعة مفيش في زمانه وقت – يقولك ماعنديش وقت– مفيش وقت، فحينما تتكلم معه هو كان ١٨ سنة وبقى ٦٠ سنة بتكلمه فينظر إليك لا يبصرك ولا يستطيع أن يسمعك، ثم ينصرف يكمل الجمع حتى يسقط في حفرته ويموت. قصة متكررة في حياة كثير من الناس، أنه لا يفيق حتى يموت.

هذا الذي جمعه؛ جمعه ليتنعم به، فيقسم الله أنه سوف يُسأل عن هذا النعيم، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ خلاص دخل النار – والعياذ بالله– كان كفاية عليه، لا، العذاب المعنوي يُبَكَّت وهو في النار، تبكيت، طول ما هو في النار يتسأل عملت إيه بالنعمة الفلانية؟ وعملت إيه في الوقت الفلاني؟ ولماذا تركت وقت كذا من الصلاة؟ ولماذا لم تفعل كذا؟ ولماذا لم تفعل كذا؟ يُسأل عن كل نعيم شغله عن الطاعة، يُسأل عن كل نعيم صرفه عن طاعة الله –عز وجل–، "ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ –يوم القيامة– عَنِ النَّعِيمِ" النعيم كان المتوقع إنه يجعلك

تشكر المنعم، الإنسان لما يجد نعمة كان متوقع إنه يقول الحمد لله ويشكر النعمة وينفق ويصلي شكرا لله –عز وجل–، لكن العجيب أن هذا الشخص صرفته النعمة عن شكر رازقه وخالقه، "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ" فاطر:٣، لماذا تُصرفون عنه –سبحانه وتعالى–؟ الإنسان ينشغل بالجمع حتى ينسى هذه الحقائق.

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ وكلمة زرتم تعني أن الذهاب للمقابر في الموت هي مجرد زيارة، مجرد زيارة بالنسبة لما سيلاقيه يوم القيامة، يعني ممكن واحد يفضل مدفون أربعة آلاف سنة، مدفون مثلًا مائة ألف، عشرون ألف سنة، مدفون من سنين، والفترة دي كلها ربنا يسميها زيارة؟ الزيارة دايما أقل من وقت الإقامة، يعني هذا الوقت اللي ظل في القبر لا يساوي شيئا بالنسبة لما سيلاقيه في البعث، وبالنسبة لما سيلاقيه من الخلود سواء في الجنة أو في النار، نسأل الله أن نكون من أهل الجنة.

إذًا مجرد المكث في المقابر هو مجرد زيارة، بل رويت بعض الآثار شيء عجيب جدًا أن تفاخر حيان من العرب قعدوا يفتخروا ده يقول عندي قبيلتي كذا وده يقول قبيلتي عندها كذا، وده يقول قبيلتي عندها كذا وقبيلتي عندها كذا، لغاية لما خلصوا التفاخر بكل ما يملكون، فقالوا تعالوا نتفاخر بالأموات فراحوا المقابر يقولوا جدي فلان اللي ميت ويقول هذا هذه مقابرنا، ظلوا يتفاخروا حتى بالموت وبالمقابر كأن هذه إشارة إلى أن أسباب الموعظة قد تتحول إلى أسباب صرف عن الطاعة، وهذا ما نراه بأعيننا، يتباهى الناس بالمقابر، الإمام ابن عطية وهو يعيش في الأندلس ذكر في تفسيره ويتعجب ويقول عندنا في الأندلس شيء عجيب أن الناس تتباهى في المقابر، فقال أبو حيان وهو يعيش في مصر –وهو بعده بأكثر من مائتين سنة– قال: فكيف إذا ما رأى ما يفعل أهل مصر؟ سنة سبعمائة هجرية، أبو حيان بيتعجب بيقول ابن عطية مستغرب من أهل الأندلس أمال لو شاف أهل مصر بيعملوا إيه في المقابر والمباهاة والتفاخر اللي بيحدث؟

فكأن أسباب الموعظة قد تتحول إلى أسباب صرف عن الطاعة، يعني الكسوف المفروض الناس تخاف، تجد الناس طالعة تشتري نضارات وتتفرج على الكسوف. المقابر مكان للتباهي، المستشفيات مكان الموعظة تجد عند كل مريض حاطين له شاشة ومشغلين له الأفلام والمسلسلات حتى ينسى، أماكن الموعظة تحولت إلى أماكن صرف عن الطاعة، كيف يستفيد الإنسان من الموعظة؟ حتى هذه الأماكن لم تعد أماكن للموعظة، كما حدث من قبل تباهوا حتى بمقابرهم، تباهوا حتى بموتاهم، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "نَهَيْتُكُمْ عن زِيارَةِ القُبُورِ –لما كان لسه المجتمع حديث عهد بشرك لكن لما استقر التوحيد– فَزُورُوها"[٧] فإنها تُذَكِّر الآخرة، الغرض الأساسي من زيارة القبر تذكر الآخرة، بمعنى أن الإنسان ينسى الآخرة يحتاج إلى مذكرات، بينسى محتاج حاجة تفكره، فيروح المقابر يقول آه ده مكاني ده نهايتي ده مصيري، مهما طال العمر لابد من دخول القبر، هذه النهاية الحتمية التي أتناساها التي أغفل عنها، ما الذي يستحق أن ينصرف الإنسان عن الطاعة؟

[٧] صحيح مسلم

اختم بقول النبي –صلى الله عليه وسلم– تلفظ الأرض وتخرج الأرض أفلاذ أكبادها أمثال الأسطوان يوم القيامة، الأرض تطلع الكنوز اللي جواها يوم القيامة؛ ذهب وفضة كل الكنوز تخرج، فيمر القاتل يعدي اللي قَتَل عشان الفلوس وعشان المناصب قَتَل يمر على هذه الأموال ويقول في هذا قَتَلت أو في هذا قُتِلت لأنه أُقْتص منه، ويمر السارق يشوف الفلوس مرمية محدش بياخدها يقول في هذا سرقت وفي هذا قُطِعَت يدي، ويمر قاطع الرحم ويقول في هذا شيء حقير الآن، "وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ" التكوير: ٤، الأموال لم يعد لها قيمة، ويقول في هذا قطعت رحمي، ثم يتركونه ويذهبون، شوف مشهد يتركونه ويذهبون ده مشهد آلآن.

لذلك قال الله –عز وجل– لنا في الدنيا كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ والله يعني آية تجعل المؤمن يبكي حسرةً.

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ وكأن الله –عز وجل– ينادي على الغافل: أَفِق أَبْصِر، هل من مستغفر؟ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار

ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويتنزل الملك جل وعلا – سبحانه وتعالى– يتنزل تنزلا يليق بجلال وجهه كل ليلة ويقول هل من تائب؟ –مش عايز ترجع– هل من تائب؟ ويعرض ويعرض ويعرض الإنسان ثم إذا عاد بعد طول غياب يفرح الله به الحمد على هذا الرب. الحمد لله رب العالمين بعد طول غياب وإعراض يعود، بعد طول ارتكاب للمعاصي يعود؛ يفرح الله به، ويستره ويبدل سيئاته حسنات.

الله أكرم الله أكبر. على ماذا الإعراض؟ على ماذا التغافل؟ على ماذا التلاهي بعيدا عن طاعة الله –عز وجل–؟

نسأل الله –عز وجل– أن يجعل أعمارنا عامرة بطاعته، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم املأ أوقاتنا بطاعتك، اللهم عَمِّر أوقاتنا بذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة، اللهم إنا نسألك حسن الخاتمة، اللهم ارزقنا شهادة في سبيلك ترضى بها عنا يا رب العالمين، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك.

اللهم ارزقنا الإنفاق في سبيلك، وارزقنا قراءة القرآن وتدبره والعمل به آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي ترضى به عنا. اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا، اللهم استعملنا ولا تستبدلنا. اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.